جامعة الإخوة منتوري بقسنطينة

كلية الآداب واللغات   قسم الآداب واللغة العربية

دروس في مادة:

علم اللهجات

لطلبة السنة 2 ماستر

تخصص: اللسانيات التطبيقية

الفوجان: 6 – 7

الأستاذ: مالكي خَرشوف

(السداسي الأول من 2020 / 2021 م)

أولا: محاور مادة "علم اللهجات" :

1– مدخل: اللغة واللهجة والصلة بينهما

2– الدراسة العلمية للهجات في العصر الحديث

3– دراسة اللهجات العربية قديما وحديثا

4– عوامل انقسام اللغة إلى لهجات (أو أسباب تكون اللهجات)

5– قانون انتشار الظواهر اللغوية المبتكَرة

ثانيا: مراجع في المادة :

في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس .

علم اللغة : علي عبد الواحد وافي .

اللغة والمجتمع : محمود السعران .

علم اللغة الاجتماعي : د. هدسون ، ترجمة: محمود عياد .

اللغة : ج فندريس ، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص .

أسس علم اللغة: ماريو باي، ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر .

اتجاهات البحث اللساني: مِلكا إفيتش ، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد .

في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة : سعد عبد العزيز مصلوح .

القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان(طبعة منقحة): أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر.

المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب (الفصل 5 منه: علم اللغة والجغرافيا اللغوية الأطلس اللغوي، وهو نفس مقاله : الجغرافية اللغوية وأطلس برجشتراسر ، مجلة مجمع القاهرة ع 37 عام 1976) .

الأطلس اللغوي : خليل عساكر ، مجلة مجمع القاهرة ع 7 عام 1949.

عن مناهج العمل في الأطالس اللغوية : سعد مصلوح ، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، ع 5 ، 1976 .

أطلس لغات قيس وما يناظرها من لغات العرب : محمد أحمد سعيد العُمَري .

في علم اللغة العام : عبد الصابور شاهين .

دروس في الألسنية العامة : فرديناد دي سوسير (القسم الرابع من الكتاب).

اللهجات العربية في التراث : عَلَم الدين الجِندي (جزءان) .

اللهجات العربية في القراءات القرآنية : عبده الراجحي .

فصول في فقه العربية : رمضان عبد التواب .

بحوث ومقالات في اللغة : رمضان عبد التواب .

مميزات لغات العرب وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك : حفني ناصف (بحث قدمه إلى جمعية العلوم المشرقية المنعقدة في فيانا 1886 م) .

اللهجات العربية نشأة و تطورا : عبد الغفار حامد هلال .

دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية : ت م جونستون، ترجمه وقدم له وعلق عليه: أحمد محمد الضُبَيب.

اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية : تشيم رابين، ترجمه وقدم له وعلق عليه: عبد الكريم مجاهد .

ثالثا: الدروس

1// مدخل: " اللغة " و " اللهجة " والصلة بينهما

تستعمل العبارة "علم اللهجات" في العربية ترجمة للمصطلح (Dialectology) ، وهذا المصطلح الأجنبي مركب من (Dialect) ويترجم بـ "لهجة"، و (Logy) ويترجم بـ "عِلم". وقد استعارت اللغة الإنجليزية كلمة (Dialect) من اليونانية، واستُعملت كمصطلح علمي فيها في عصر النهضة.

وقد كانت دلالات الكلمتين اليونانيتين، اللتين ترجمتا إلى "لغة" (language) و "لهجة" (dialect) بالإنجليزية، مختلفتين تماما عن دلالاتهما في الإنجليزية الآن. ولعل الاستعمال الفرنسي للكلمتين (langue) و (dialecte) أقرب إلى الأصلين اليونانيين[1]؛ لأن الكلمة الفرنسية (dialecte) تُستخدم لتدل فقط على نوعية إقليمية –من النظام اللغوي– مكتوبة، بعكس نوعيات إقليمية غير مكتوبة، يطلَق عليها مصطلح « patois».

أما في اللغة العربية، فلَم يختلف الباحثون في العصر الحديث في ترجمة (dialect) بـ "لهجة"، وهي مشتقة من (ل هـ ج) : لَهَجَ الفصيلُ يَلْهَجُ أُمَّه : إذا تناول ضرع الناقة يمتصه، و لَهَجَ الفصيلُ بأُمِّه : إذا اعتاد رضاعها فهو فصيلٌ لاهِج. كما قيل: لَهَجَ بالأمر لهجاً، ولَهْوَجَ وأَلْهَجَ : أولِع به واعتاده أو أُغرِي به فثابر عليه. واللَّهْجُ بالشيء : الولوع به.

وقد جاء في "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي: اللَّهْجَةُ طَرَفُ اللسان. ويقال: جَرْسُ الكلام، ويقال: فصيحُ اللَّهْجَةِ و اللَّهَجَة. وقد نقل الأزهريّ في "تهذيب اللغة" عن العين: اللَّهْجَةُ هي لغته التي جُبِل عليها فاعتادها، ونشأ عليها.

وقد درج كثير من الباحثين على تعريف اللهجة اصطلاحا من خلال علاقتها باللغة، ومن أمثلة ذلك قول رمزي منير بعلبكي في "معجم المصطلحات اللغوية" : " نظام لغوي يمتاز –من خلال اللُّكْنَة والكلمات والتراكيب خاصة– عن اللغة التي يتفرع عنها". وكذلك قول إبراهيم أنيس في مؤلَّفه "في اللهجات العربية": " مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات. لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية ... وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة".

ومن خلال هاذين التعريفين الاصطلاحيين للهجة، يتضح أن علاقة اللهجة باللغة هي علاقة الجزء بالكل أوعلاقة الخاص بالعام.

1- في بلاد الإغريق كانت لهجة الملحمة غير لهجة القصيدة الغنائية؛ وفي الدرامة كانت تستعمل لهجتان مختلفتان، واحدة للحوار والأخرى للغناء الجماعي. فأساسُ هذه اللهجات من حيث الأصل لغةَ أحد الأقاليم الإغريقية.

وقد اجتهد بعض الباحثين في وضع معيار علميّ للتمييز بين اللغة واللهجة، وقد أسفر عملهم في ذلك إلى اقتراح ثلاثة معايير: معيار الحجم ومعيار الفهم المتبادل ومعيار المكانة (أي المكانة المرموقة).

معيار الحجم: ذلك أن ما يعد "لغة" أكبر حجما من "اللهجة"؛ وذلك يعني أن النوعية التي تتضمن العدد الأكبر من الوحدات اللغوية هي "اللغة"، بينما النوعية الأصغر "هي "اللهجة".

معيار الفهم المتبادل: فإذا استطاع متحدثان بنوعيتين مختلفتين أن يفهم كل منهما الآخر، فإن النوعيتين المعنيتين تُعَدّان "لهجتين" من لغة واحدة، ودون هذا الفهم المتبادل تعدّ كل من النوعيتين "لغة" مستقلة.

معيار المكانة (أي المكانة المرموقة): وبالطبع ما يعدّ "لغة" ذو مكانة اجتماعية يفتقدها ما يعدّ "لهجة"، وكثيرا ما تعدّ النوعية التي يُكتب بها لأغراض عديدة (إبداع، تعليم، مراسيم حكومية ...) "لغة"، على عكس النوعيات التي لا يُكتب بها حيث تعدّ "لهجات" فحسب. وتكتسب نوعية ما هذه المكانة بعملية النَّمْذَجَة أو المواضعة؛ أين يعمد أبناء المجتمع إلى تطوير نوعية لغوية معينة بتدخلٍ مباشر ومقصود يفضي إلى ما يطلَق عليه "لغة متواضعا عليها" (أومعيارية)، لم تكن من قبل سوى نوعية من نوعيات لغوية منتشرة في بيئة ما.

وواضح من المآخذ التي قدمها الباحثون على مقترحَي الحجم والفهم المتبادل أنهما لا يصلحان كمقياسين تُعرَف بهما "اللغة" من "اللهجة"[1] ، وقد لا يبقى إلا معيار المكانة الاجتماعية مقياسا نعتمده في التمييز بين ما هو "لغة" أو"لهجة" ، يقول هدسون: " ليس هناك أي أساس حقيقي للتمييز بين "اللغة" و"اللهجة" باستثناء "المكانة" التي تتمتع بها لغة بعينها حيث يَحْسُنُ استخدام لفظة "لغة متواضع عليها" بدلا من مجرد استخدام لفظة "لغة" فحسب"[2]. وفي هذا السياق يقول محمود فهمي حجازي: "إن أيّ نظام لغوي يتكون من أصوات تكوّن كلمات تؤلّف جملاً لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أيّة لغة وأية لهجة داخلة في هذا الإطار. والشيء الأساسي الذي يجعل نظاما لغويا ما يُصنَّف باعتباره لهجة أو لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس في بنية اللهجة أواللغة ما يحتّم تصنيفها –بالضرورة– هذا التصنيف، ولكن مجالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هي التي تفرض هذا التصنيف. فالنظام اللغوي الذي يستخدم في مجالات الثقافة والعلم والأدب الرفيع هو ما يصنف اجتماعيا بأنه فصيح، والنظام اللغوي الذي يقتصر استخدامه على مجالات الحياة اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه "عامية" "[3] .

[1] - ينظر: علم اللغة الاجتماعي : د. هدسون ، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط 2 ، 1990، ص: 52-62 .

[2] - المرجع نفسه، ص 62.

[3] - مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت)، ص ص 13-14 .

2// الدراسة العلمية للهجات في العصر الحديث

1– تعريف اللهجة (Dialect):

يعرف بعض اللسانيين المحدثين مصطلح " اللهجة " (Dialect) بأنها « مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات. لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية ... وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة » [1] .

2– تعريف علم اللهجات (Dialectology):

هو على ما قرره مجمع اللغة العربية بالقاهرة « علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات. أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ وتتفرع عن لغة أو لغات »[2] . ويعرفه اللساني جورج مونان بقوله: « إنّه الدراسة التي تختصّ باللهجات، أواللهجات الخاصة، لكن على وجه أخص؛ هي الدراسة المقارنة لمجموعة من اللهجات التي تغطي فضاءا لسانيا ، هذا الحقل يسمى اللسانيات الجغرافية»[3] .

فعلم اللهجات في العصر الحديث فرع من فروع اللسانيات، يهتم بالدراسة العلمية للهجات في لغة من اللغات، ويبحث في الاختلافات اللهجية وما يرتبط بها من سمات على أساس التوزيع الجغرافي؛ لذلك نجد من اللسانيين– كجورج مونان– من يصنفونه ضمن فرع "اللسانيات الجغرافية (Geolinguistics)"، كما نجد آخرين يعتبرونه هو اللسانايت الجغرافية ذاتها [4] .

ويتناول اللسانيون في علم اللهجات الظواهرَ اللغوية، الصوتيةَ والصرفية والتركيبية والدلالية، التي تحدث في لغة من اللغات بسبب اختلاف اللهجات، أو التي يكون اختلاف اللهجات سببًا رئيسًا فيها، وذلك كالإبدال والفك الإدغام والهمز والتسهيل وقضايا المشترك والمتضاد والمترادف ... في اللغة العربية. فيدرسون التغيرات

---

[1] – إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2003، ص 15 (وراجع التعريف الوارد في ص 3) .

[2] – مجموعة المصطلحات العلمية والفنية 4 / 93، 15/ 221 . نقلا عن : عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأة وتطورا،مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993، ص388 (الهامش) .

[3] – نقلا عن: ليلى زيان (أستاذة مكلفة بالدروس بجامعة بشار–الجزائر): علم اللهجات ، منتديات تخاطب www.ta5atub.com (6 يونيو 2010 – 3:02).

[4] – ينظر: مصطلح (Dialectologie) في قاموس جان ديبوا وآخرين:

DUBOIS Jean [et autres], *Dictionnaire de Linguistique et des Sciences du Langage*, Larousse-Bordas/HER, Paris 1999.

و الاختلافات الكائنة في اللغة الواحدة في مناطق مختلفة و في التجمعات المتباينة التي تتكلمها، و كذا الاختلافات الحاصلة في لهجتين من اللهجات المحلية ذات الأصل المشترك. وهم يتعاملون عادة مع سكان يعيشون في مناطقهم لعدة أجيال دون أن يرتحلوا، و أيضاً مع جماعات المهاجرين الحاملة للغاتها إلى مواطن جديدة [1].

كما يتناول علم اللهجات جوانب من اللسانيات الاجتماعية كانقسام لغة ما إلى عدّة لهجات مرتبطة بها، والأسباب التي تؤدي إلى ذلك، والصلة بين اللغة الأم وبين ما تفرع عنها من لهجات، وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف، وانزواء أو انتشار، وموت وحياة، وما يكون من سيادة إحداها على سائرها، كما حدث للهجة قريش مثلا، وبيان أسباب تلك السيادة، وقد تتحول إحدى اللهجات إلى لغة، عندئذ يتناول علم اللهجات أسباب ذلك، كما يدرس آثار كل لهجة في صاحبتها، ومدى تأثرها بها، ثم استنباط القوانين التي سارت عليها اللغة في ذلك كله.

3- بداية الدراسة العلمية للهجات في العصر الحديث:

يعود الفضل في ذلك إلى "مدرسة النحاة الشبان" في السبعينيات من القرن التاسع عشر، في ألمانيا، ومعلوم لدينا أن هذه الفترة من تاريخ الدراسات اللغوية في أوربا تعرف بعصر الدراسات التاريخية والمقارنة. والحقيقة أن دراسة اللهجات حتى تلك الفترة لم تكن تحظى بأي قدر من الأهمية؛ « فقد كان اللسانيون لا يعترفون إلا باللسان الفصيح، ويرون في أي تنوع لهجي من تنوعاته انحرافا عن سوائه ينبغي التجافي عنه والبراءة منه »[2]. وقد اقتنع اللسانيون بعد حوالي قرنين من الزمان ببطلان هذا المبدأ، بعد أن تأكد للنحاة الشبان، عندما جهدوا في دراسة ما يعتري اللغات من تغير عبر الزمان، لإثبات أن التغير – خاصة في مجال الأصوات- خاضع لقوانين صارمة ومطردة، أن اعتمادهم على المقارنة بين اللغات المعيارية أو الفصيحة دون اللهجات هو السبب الذي أدى بهم إلى التوصل إلى نتائج مضطربة لا تخدم فرضيتهم. كما انتبهوا إلى أن اللغات الفصيحة عرضة للتأثر بالغزو اللغوي الخارجي نتيجة انفتاحها على التأثير والتأثر، فاتجهوا «إلى اللهجات لإثبات اطراد القوانين الصوتية وبراءتها من الشذوذ »[3] .

---

[1] - ليلى زيان: المرجع السابق

[2] - سعد عبد العزيز مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، جامعة الكويت-الكويت، ط1- 2003 ، ص 157 . ومثل هذا أيضا في: أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب،القاهرة ، ط 8 / 1998 ، ص 234- 235 .

[3] - سعد عبد العزيز مصلوح : في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، ص 159 . وينظر أيضا: أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط4، 2008، ص 94-95 .

ومن هنا كانت بداية ما عرف باللسانيات الجغرافية ، لما انطلق اللسانيون إلى القرى والجهات النائية يجمعون لهجاتها، لاستقصاء وحصْر صور التنوع اللهجي، وتوزيعها على خرائط ميدان البحث بحسب انتمائها إلى مناطقه المختلفة. وتوضح على هذه الخرائط اللغوية حدود اللهجات المختلفة، ومعالم كل لهجة، وتجمع الخرائط في نهاية الأمر في أطلس لغوي عام. ويشيد ماريو باي بقيمة هذا الإنجاز للدرس اللساني الحديث، إذ على الرغم من أنه « قد بدأ أساسا على يد اللغويين التاريخيين، لأغراض تاريخية في معظمها، فإنه قد وضع الأساس لنموذج الدراسة الوصفية العملية في مجال البحث اللغوي» [1] .

ويعد عام 1876 م تاريخا مميزا في علم اللهجات أو اللسانيات الجغرافية، إذ فيه بدأ اللساني الألماني جورج فنكر (G. Venker) استقراء صور التنوعات اللهجية في ألمانيا، لينجز أول أطلس لغوي في العالم، ثم ظهر بعده بين عامي 1902–1912 الأطلس اللغوي لفرنسا بإشراف اللساني الفرنسي جِييرون (Gilliéron)، وأخذت فكرة الأطالس اللغوية تتسع لتظهر وبتطويرات ملحوظة نماذج منها في بلاد كثيرة في أوربا وأمريكا [2].

وفيما يأتي ملحق مصوّر من كتاب سعد مصلوح المذكور آنفا، معنون بـ" ركائز الجغرافية اللغوية" (ص: 160 – 166)

---

1 - أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب،القاهرة ، ط 8 / 1998 ، ص 131.

2 - ينظر التفاصيل في:

- خليل عساكر: الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع 7، مطبعة وزارة المعرف العمومية، 1953، ص: 379 – 384؛
- ماريو باي: أسس علم اللغة ، ص: 131- 133 ؛
- رمضان عبد التواب: الجغرافية اللغوية وأطلس برجشتراسر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ع 37، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية- 1978 ،ص 119- 124 ؛ أو كتابه: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 / 1997، الفصل الخامس؛
- عن مناهج العمل في الأطالس اللغوية : سعد مصلوح ، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع 5 ، 1976 .

٣/ ٠ ركائز الجغرافية اللغوية

للجغرافية اللغوية مظهران: مظهر تسجيلي غايته جمع المادة، وتوزيعها على خريطة الميدان، ورسم خطوط التوزيع الفاصلة والواصلة بين النقاط السكانية التي يشملها الميدان المدروس. ومظهر تحليلي غايته تأمل المادة المجموعة بعد تسجيلها واستنطاق خطوط التوزيع لاستكناه دلالاتها، وتشخيص الفروق والتنوعات اللهجية وتمييز الكيانات اللهجية. وما بنا هنا أن نفصل القول في المظهر التحليلي، لاختلاف معطياته بين الجغرافية اللغوية والجغرافية الأسلوبية اختلافاً مبيناً. أما المظهر التسجيلي فيقوم على ركائز أساسية يمكن أن تفيدنا في تصور العلم المقترح وهي:

٣/ ١٠ جمع المادة اللغوية

ويشمل تحديد نوع المادة المطلوبة، وحجمها، والشروط الواجب توافرها في الرواة الذين تؤخذ عنهم اللغة، والطريقة المستخدمة في أخذها.

وقد مرت جميع جوانب هذه العملية بمراحل من التطور، فبدأت المادة المطلوبة في الأطلس الألماني بعدد من الجمل المكتوبة بالألمانية الفصحى، وطلب إلى الرواة كتابتها باللهجات المحلية، ثم انتهت في الأطلس الفرنسي وما تلاه من أطالس بكراس للاستبانة تشتمل على معلومات تخص الراوية والمكان، وأسئلة مبوبة في كل شؤون الحياة المادية والروحية للجماعة.

أما تقنيات الجمع فاختلفت مرحلياً على الوجه الآتي[٤]:

١ - الجمع غير المباشر وغير المقنن (في الأطلس الألماني؛ إذ عهد به إلى معلمي المدارس في القرى غير المدربين تدريباً لسانياً).

٢ - الجمع المباشر والمقنن يقوم به باحث ميداني واحد مدرب (في الأطلس الفرنسي؛ إذ قام به **ادموند ادمونت E.Edmont**. ولكن الاعتماد على باحث ميداني واحد - وإن كان مدرباً - قلل إلى حد كبير من عدد النقاط المفحوصة، وأدى أحياناً إلى انحلال شبكة خطوط التوزيع (انظر ٣ - ٤).

٣ - الجمع المباشر والمقنن يقوم به عدد من الباحثين الميدانيين المدربين (في أطلس نيو انجلاند. وكان محاولة للاستدراك على عيوب الطريقتين السابقتين).

٣/ ٠٢ الأطلس اللساني linguistic atlas [...] ونعني بالأطلس مجموع الخرائط

الخاصة بالميدان اللغوي المُعْنىٰ، وعليها يجري توزيع تنوعات المادة اللغوية المجموعة بحسب انتماءاتها المكانية والاجتماعية.

ويندرج تحت الأطلس اللساني ثلاثة أنواع من الأطالس:

أولها : **أطلس اللهجات dialect atlas**، ويشتمل على خرائط لتوزيع التنوعات اللهجية على الميدان في إطار اللغة الواحدة.

ثانيها : **أطلس اللغات atlas of languages**، ويشتمل على خرائط التوزيع الجغرافي للغات المختلفة. ولهذه الأطالس أهمية خاصة في مناطق **التداخل اللغوي language overlapping** ومناطق **التّماسّ اللغوي languages in contact**.

وثالثها : **الأطلس الأسلوبي stylistic atlas**، وهو ضرب من الأطالس اللسانية كان حقه أن يوجد فلم يوجد، ولمّا يحظ بما هو حقيق به من العناية. وسنعود إليه ببيان فيما يلي من هذا البحث (ف ١٠/ ٠٢).

٣/ ٠٣ الخرائط اللسانية linguistic maps

وهو مصطلح جامع للخرائط والنماذج الجغرافية التي يجري عليها توزيع التنوعات اللغوية. وتتنوع الخرائط بحسب أنواع الأطالس إلى **خرائط لهجية dialect maps**، وخرائط **لغوية language maps**، وخرائط **أسلوبية stylistic maps**. ولنا عودة إلى هذا النوع الأخير (انظر ف ١٠/ ٣). كما تتنوع الخرائط بحسب مستويات التحليل إلى **خرائط صوتية phonetic or phonemic**، أو **صرفية morphic or morphemic**، **أو نحوية** (أي نظمية بمصطلح الإمام عبدالقاهر الجرجاني) **syntactic**. وتنتشر على كل خريطة نقاط التجمعات الإقليمية واللغوية والاجتماعية التي يحددها القائمون بالعمل ليجري توزيع التنوعات عليها.

وتشتمل كل خريطة على عدد من **خطوط التوزيع (isographs)** isoglosses. وقد وضع هذا المصطلح على وجه الاقتراض من مجال الأرصاد الجوية، حيث يستخدم المصطلح isotherm ليعني الخط الواصل بين المحطات المتفقة في النهايات العظمى لدرجات الحرارة. ويقصد بخط التوزيع الخط الفاصل بين النقاط التي تتبنى تنوعات متباينة من الاستعمال اللغوي.

وأشهر خطوط التوزيع المستخدمة في الجغرافية اللغوية هي: **خط التوزيع الصوتي isophonic وخط التوزيع الصرفي isomorphic وخط التوزيع النحوي (النظمي) isosyntactic وخط التوزيع النغمي isotonic**، **وخط التوزيع الدلالي isosemantic**. ومن الشائع – حين تدعو الضرورة – أن تستخدم الأطالس علامات توزيعية كالنقاط والدوائر والمثلثات وغيرها، وذلك حين يكون التداخل شديداً في التوزيع، أو أن نلجأ إلى وسيلة التظليل في حالات التوزيع المتخلخل.

بقي حديث عن خطوط توزيع مقترحة تحت اسم خطوط التوزيع والعلامات الأسلوبية وهي موضوع الفقرة ١٠/ ٠٤.

[...]

٤/٠ من التنوع المكاني إلى التنوع الاجتماعي

ارتبطت أولية الجغرافية اللغوية - كما أسلفنا (ف ٢) - بفحص التنوع اللغوي فحصاً مستنداً إلى التحديد المكاني، وباستخدام خريطة الميدان وسيلة للحصر والاستقصاء. ولم يكن التحديد المكاني في هذا الطور الأول فضلة يمكن الاستغناء عنها، بل ضرورة مرتبطة باستراتيجية البحث؛ إذ كان المقصد هو جمع التنوعات اللغوية من المناطق الحصينة ضد الغزو الخارجي. وهذا هو عين ما توخاه جمهور علماء العربية حين صدفوا عن أخذ اللغة ممن جاور أطراف الجزيرة.

غير أن الجغرافية اللغوية في تطوراتها اللاحقة غيرت من استراتيجيتها البحثية، وتغيرت تبعاً لذلك التقنيات المستخدمة في إنجازها، ولا سيما ما اتصل منها بنوع الراوية اللغوي الذي تؤخذ منه اللغة، والشروط التي ينبغي توافرها فيه. وقد آثرنا علاجها هنا لاتصالها الوثيق بالتحول الذي شهدته الجغرافية اللغوية من فحص التنوع المكاني إلى فحص التنوع الاجتماعي.

كان شرط الراوية في الأطلس الألماني أن يكون معلماً مقيماً لم يغادر موطنه إلى غيره بما يفسد عليه لهجته المحلية، حتى تتسق المادة المجموعة مع الغاية من إثبات اطراد قوانين التغير الصوتي. وحين توسع المشتغلون بالجغرافية اللغوية في هذه الغاية بإضافة رصد التنوع الاجتماعي اتجهوا إلى تسجيل التباين اللهجي بين الريف والحضر، ثم بين ذوي العلاقات الاجتماعية المحدودة وذوي العلاقات الواسعة. وكان أطلس نيوانجلاند من أكثر الأطالس احتفاء بهذا البعد الاجتماعي.

ومع ذلك وجد هذا الأطلس من علماء الاجتماع من يهاجمه هجوماً كاسحاً بسبب إفساده الغاية التي انتدب نفسه لها، واشتماله على أخطاء قادحة في الأسس والمعالجة الإحصائية وتحليل المجتمع الأصلي واختيار العينات، وإخلاله بمعاملي الصدق والثبات، وإبرازه العامل المتعلق بالتعليم على سائر العوامل الاجتماعية الأخرى[٦].

ولا ريب في أن الأطالس اللغوية أفادت في تطورها اللاحق من هذه المآخذ. بيد أن ذلك كله كان من الأسباب الموجبة للحيطة عند نشدان مادة تتصل بالجغرافية الأسلوبية في الأطالس اللسانية. ويحفزنا ذلك إلى تحويل قبلتنا شطر المعالجة الأسلوبية للوجه الآخر من القضية.

3// دراسة اللهجات العربية قديما وحديثا

1- قديما:

لم يصلنا عن علمائنا القدامى مؤلف مستقل في اللهجات العربية القديمة، و ليس معنى ذلك أنهم أهملوها بالكلية، فقد سجلوا قدرا كبيرا من ظواهرها، وكان ذلك ضمن دراستهم للغة الفصحى. وألّف عدد منهم كتبًا أطلقوا عليها اسم «اللغات» أو«كتاب اللغات» ، من هؤلاء: يونس بن حبيب (ت 182ه)، وأبو زكريا الفراء (ت 207ه)، وأبوعُبيدة مَعْمر بن المثنّى (ت 210ه)، والأصمعيّ (ت 216ه)، وأبو زيد الأنصاري (ت 214 ه، وإليه يُنسب أيضا كتاب في لغات القرآن). كما أن منهم من ألفوا في لغات القرآن، من ذلك «كتاب اللغات في القرآن الكريم» برواية إسماعيل بن عمْرو بن حسنون (ت419ه) يصل إسنادها إلى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-، وكتاب: «ما ورد في القرآن من لغات القبائل» لأبي عبيْد القاسم بن سلاّم (ت 224 ه). ولم يصلنا من هذه الكتب إلا الأخيريْن فقط.

وقد وردت إشارات كثيرة في كتب التراث على اختلاف اهتماماتها، إلى اللهجات العربية القديمة، كما وردت موضوعات خاصة باللهجات في بعض كتب الأقدمين، كما في «الخصائص» لابن جني (ت 392ه): «باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا»، و«باب في تركيب اللغات»، و«باب اختلاف اللغات وكلها حجة»، و«باب في العربي يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها، أم يلغيها ويطّرح حكمها».

وفي «الصاحبي» لابن فارس (ت 395ه) نجد: «باب القول في اختلاف لغات العرب»، و«باب اللغات المذمومة»، و«باب انتهاء الخلاف في اللغات». و أما السيوطيّ (ت 911ه) في «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» فخصّص النوع العاشر لمعرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات، والنوع الحادي عشر لمعرفة الرديء المذموم من اللغات، والسادس عشر لمعرفة مختلف اللغة، والسابع عشر لمعرفة تداخل اللغة.

ومن كتب القدماء التي تضيف معلومات قيمة إلى دراسة لهجات العربية القديمة، الكتبُ التي أُلِّفت لغرض إصلاح وتقويم ألسنة سكان المدن، وهي المعروفة بكتب لحن العامة، ومنها: « لحن العامة» للفرّاء، « ما يلحن فيه العامة» لأبي عبيدة، و« ما خالفت فيه العامة لغات العرب» لأبي عبيْد القاسم بن سلاّم، و«إصلاح المنطق» لابن السِّكّيت (ت244ه)، و« لحن العوام» لأبي بكر الزبيدي (ت 379 ه) و « تقويم اللسان» لعبد الرحمن بن الجوزي (ت597ه). كما أُلِّفت كتب أخرى انتصرت للعامة وصَوَّبَت بعض

استعمالاتها وتحاول أن تثبت الوشائج بين ما استعملته العامة وما استعمله العرب القدماء، مثل كتاب « بحر العَوَّام فيما أصاب فيه العَوَام» لرضيّ الدين بن الحنبلي (ت971 هـ) ، و « القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب» لابن أبي السرور البكري (ت1087هـ).

2- <u>حديثا:</u>

كانت بداية دراسة اللهجات العربية في العصر الحديث على أيدي المستشرِقين، في مناطق مختلفة من العالم العربي، خاصة دول الشمال الإفريقي وسوريا وفلسطين والعراق، ومن تلك الأعمال: أطلس لهجات سوريا وفلسطين (1915): للألماني برجشتراسر (Bergstrasser) ؛ اللهجة العربية في تدمر (1934)، اللهجات العربية في حواران (1946): للفرنسي جان كانتينو (J. Cantineau) ؛ عدة مقالات عن لهجات عَدَن وحضرموت (1937) : للإيطالي روسي (Rossi) .

ثم نمت في العصر الحديث دراسة اللهجات العربية وازدهرت، وقد كانت أول دراسة لها، الرسالة التي ألفها المرحوم 'حفني ناصف' بعنوان «مميزات لغات العرب، تخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها، وفائدة علم التاريخ من ذلك»، والتي قدمها في مؤتمرٍ لجمعية العلوم المشرقية، في فيينا سنة 1886م ، ثم جاء بعدها الدراسة القيمة للمرحوم إبراهيم أنيس: «في اللهجات العربية»، وقد نشرت أول مرة عام 1946م، وتعدّ هذه الدراسة مصدرًا مهمّا لكل من كتب عن اللهجات العربية في العصر الحديث. وقد نص مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ السنة الأولى من تأسيسه (1932) على إنشاء لجنة خاصة تنظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة، تضم عددًا كبيرًا من المتخصصين والخبراء في هذا الشأن عرباً وأجانب، كما خصصت بعض الكليات في الجامعات العربية في السنوات الأخيرة حيزا في مناهجها لدراسة اللهجات.

ومن أوائل الباحثين العرب الذين بحثوا في هذا الميدان في إطار رسائل للدكتوراه أو للماجستير في الجامعات الأوربية أو الأمريكية، المبتَعَثون المصريون الرواد في الدراسات اللسانية: إبراهيم أنيس (لهجة القاهرة 1941)؛ تمام حسّان (لهجة عدن العربية في جنوب اليمن 1952)؛ كمال بِشر (دراسة نحوية للهجة منطقة عالي في لبنان 1956)، ثم غيرهم من الباحثين العرب . وجاء من بعدهم من واصل البحث في هذا الباب في داخل الوطن العربي، في دراسات مستقلة أو في شكل رسائل جامعية ومن أبرزها أطروحة الدكتوراه التي تقدم بها أحمد علم الدين الجِندي سنة 1965م والموسومة:" اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة " ، وقد طبعت في جزأين بعد ذلك بعنوان: «اللهجات العربية في التراث».

وكان المرحوم إبراهيم أنيس يرى أن الدراسة العلمية للهجات العربية الحديثة « يجب أن تبدأ وصفية، نشرحها ونسجلها ونحلل أصواتها وكلماتها، دون التعرض في البدء إلى أي نوع من المقارنات، أو الحكم على أي صلة بلهجة قديمة، فإذا فرغنا من الدراسة الوصفية التحليلية لكل لهجة من اللهجات الحديثة نكون قد خدمنا أغراضا جليلة: منها تسجيل لهجاتنا التي تكوِّن مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية، ومنها إشباع رغبة العلماء منا في الدراسات الأكاديمية البحتة للهجات الحديثة، ثم بعد هذا وفوق هذا تصبح تلك الدراسة نواة أو مادة نستغلها في دراسة اللهجات العربية القديمة» [في اللهجات العربية، ص 12].

ومن جهة أخرى يؤد الدكتور رمضان عبد التواب أن الدراسة الجغرافية للهجات العربية المختلفة، في البلاد العربية، ذات فوائد كبيرة أهمها :

١ ـــ دراسة هذه اللهجات لذاتها ، دراسة علمية عميقة ، لاكتشاف مافيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب ، ولمعرفة التغييرات المختلفة ، التى تطرأ عليها من وقت لآخر .

٢ ـــ إثراء الدراسات فى العربية الفصحى نفسها ، إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافى ، كتابة تاريخ هذه اللغة ، فى عصورها المختلفة ، ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية ، صلة باللغة الفصحى ، وأبعدها عنها .

٣ ـــ يمدنا هذا المسح الجغرافى بالمعلومات اللازمة ، لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية القديمة ، فى الوطن العربى ، ويفسر لنا النصوص المبتورة عن هذه اللهجات ، فى تراثنا العربى .

٤ ـــ يتيح لنا هذا العمل ، فرص الدراسة المقارنة ، لابين اللهجات واللغة الفصحى فحسب ، ولكن بين اللغات السامية المختلفة كذلك ؛ ويقفنا على مصادر الكلمات الأجنبية هنا وهناك .

[المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 149]

4// عوامل انقسام اللغة إلى لهجات (أو أسباب تكون اللهجات)

عوامل عدة تؤدي إلى انقسام اللغة إلى لهجات، منها:

- العوامل الجغرافية: حيث تعمل حواجز طبيعية بين مجتمعين يستعملان نظاما لغويا واحدا على قلة الاتصال بين المجتمعين، مما يؤدي إلى انعزال مجتمع عن آخر، يقود بعد مرور الزمن إلى اختلافات لغوية بينهما.
- العوامل الاجتماعية: حيث تقوم بعض الحواجز الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد على أن يقسم المجتمع نفسه إلى طبقات حسب المستوى المعيشي، أوحسب الوظائف والحِرف، أو بحسب الأعمار، مما يؤدي تدريجيا إلى انقسام لغة هذا المجتمع إلى لهجات خاصة بهذه الفئات.
- احتكاك اللغات: الذي قد يكون نتيجة غزو خارجيّ سياسيّ أوعسكريّ أوديني، أوفكري، لمجتمعات تستخدم لغة واحدة، مما ينتج عنه تؤثر هذه المجتمعات بلغات هؤلاء الغزاة، حتى تصبح هذه المجتمعات مع الزمن متباينة اللغات بعد أن كانت لغتها واحدة، خاصة إذا تعاضد أكثر من غزو على هذه المجتمعات عبر العصور.

والمدقق في الجانب المشترك بين كل هذه العوامل يجد أنه "الزمن"؛ فلا يمكن لكل عامل منها أن يقسم اللغة الواحدة إلى نوعيات عديدة بين الليلة والغداة، بل لابد له من زمن طويل يكون فيه الانتقال من الوحدة اللغوية إلى التنوع في كل مستويات اللغة (الصوتي والصرفي والنظمي والدلالي)، وبوتيرات مختلفة حتى تبدو للمتأمل أنها متباينة، مع ما بينها من خصائص مشتركة لا تجعلها بعيدة عن بعضها بعض في انتمائها إلى الأصل اللغوي الواحد.

وانطلاقا من فكرة انتماء أنواع من اللغات إلى لغة أمّ (أو لغة أصل أو لغة أولى)، فقد تساءل اللسانيون منذ زمن عن أسباب هذا التنوع الحادث لهذه اللغة الأم، وربما كانت الإجابة البسيطة عنه هي اختلاف المكان (العامل الجغرافي). أمّا فرديناند دي سوسير فقد بيّن أن العامل الرئيس في نشوء اللهجات هو"الزمن"، ويؤكِّد أن المرء عندما يعتقد أن "المكان" هو الذي تسبب في هذه الفروق أوأنشأها، يكون واهماً؛ لأن الناس يغفلون عن عامل الزمان لأن إدراك الحس للمكان أسهل من إدراكه للزمان. ومن هنا توصّل إلى أن تباعد الأمكنة وحده لا ينشئ الاختلافات اللغوية بل لابد أن يتبعه تعاقب الأزمان:

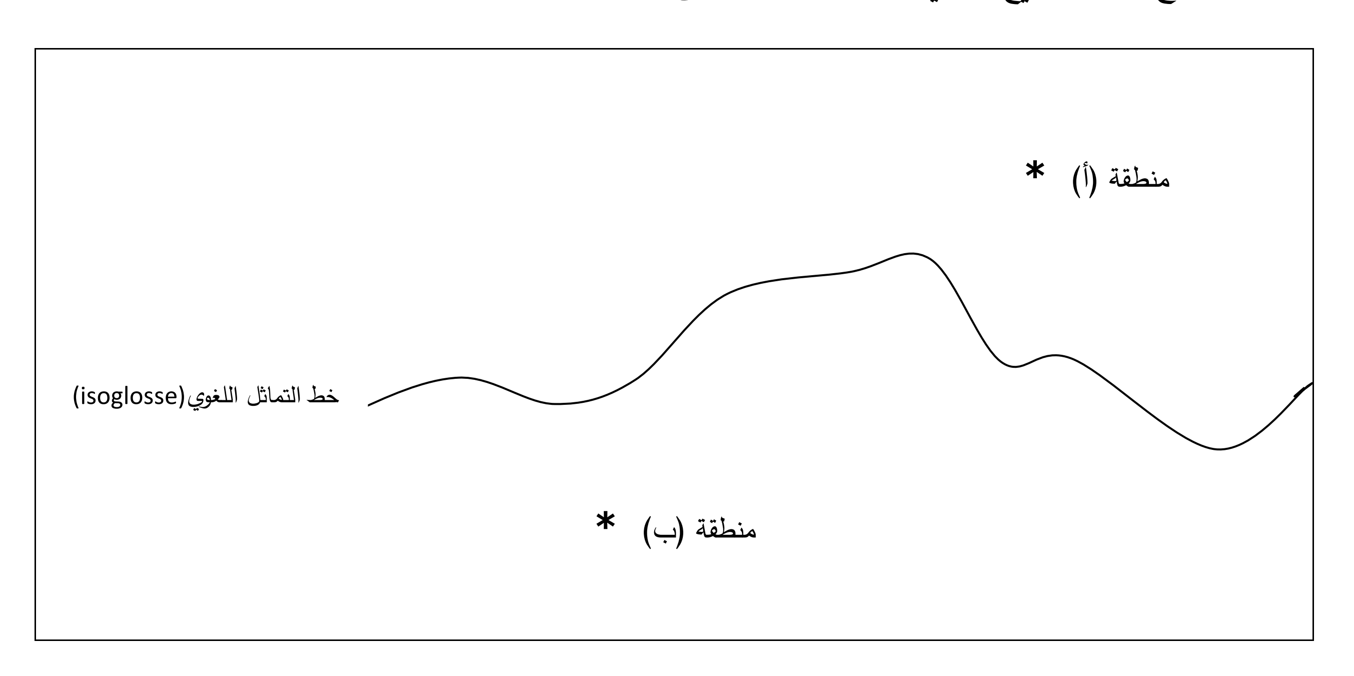
لغة أمّ	تنوع المكـان ←———— عبر الزمـان	لغات بنات

5// قانون انتشار الظواهر اللغوية المبتكَرة

يخضع انتشار الظواهر اللغوية الجديدة في المجتمعات إلى نفس القوانين التي تخضع لها أية عادة بشرية كالموضة مثلا. ويوجد في كل مجموعة بشرية قوتان تعملان في آن على الدوام وفي اتجاهين مختلفين: إحداهما قوة نزعة الخصوصية والانغلاق، والأخرى قوة نزعة الانفتاح والتبادل. وهذه القوة الثانية هي التي توجِد أسباب التواصل بين البشر.

و نزعة الخصوصية والانغلاق هي التي تجعل مجموعة بشرية ما وفية لما ينشأ فيها من تقاليد لغوية، وتلك العادات والتقاليد هي أول ما يتبناه كل إنسان في صباه، وهذا ما يفسر سبب قوتها ودوامها. ولو كانت تلك التقاليد تعمل عملها بمفردها لأنشأت في الكلام من الخصوصيات اللغوية ما لا عد له ولا حصر، ولكن توجد قوة مضادة لها تعمل على التعديل من تأثيرها، وهي نزعة الانفتاح والتبادل؛ حيث تجبِر البشر على التواصل فيما بينهم بطرق وأشكال مختلفة. فإذا كانت قوة الخصوصية والانغلاق تعمل على التفريق بين بني البشر في مجموعات لكل منها خصائصها اللغوية، تعمل قوة نزعة الانفتاح والتبادل على التوحيد اللغوي بينهم بطريقتين: فأحيانا تقضي على ابتكار لغوي عندما يظهر في مكان معين، وأحيانا تساعد على انتشاره هذا الابتكار فتجعل الناس يتبنّونه. وفي كلتا الحالين تتحقق الوحدة اللغوية.

ويطلق دي سوسير على الصورة الثانية من صورتَي الانفتاح والتبادل مصطلح "الموجة اللغوية" ليقصد بها الحدود الجغرافية التي تَحُد ظاهرة لهجية ما؛ ذلك أن خط التماثل اللغوي (isoglosse) –أو كما ترجمه سعد مصلوح: خط التوزيع اللغوي– يمثِّل الحد الأقصى من مجال قد تمتد موجاته وقد تنحسر.



ويدهش المرء أحيانا عندما يلاحظ أن لهجتين تابعتين للغة واحدة، تشتركان في خاصية لغوية واحدة على ما بينهما من بعد جغرافي. وتفسير ذلك أن الابتكار اللغوي الذي ظهر في البداية في نقطة ترابية معينة لم يصادِف أمامَه أيَّ عائق يمنع انتشاره، مما جعله يبلغ أماكن بعيدة عن منطلقه، وهذا حادث طبعا بفعل قوة الانفتاح والتبادل، في نطاق مجموعة بشرية ليس يوجد فيها سوى مجالات انتقالية لا يكاد المرء يشعر بها، ويتطلب ذلك بالتأكيد فترة من الزمن. فكل صفة تشترك فيها لهجة محلية مع لهجة أخرى، مرجعه إلى نزعة الانفتاح والتبادل، وكل صفة تنفرد بها لهجة هذه النقطة الترابية إنما سببه نزعة الخصوصية والانغلاق. وهذا يعني أنه لا يمكن لظاهرة لغوية في نقطة ترابية معلومة أن تتعلق إلا بواحدة فقط من القوتين السابقتين.

إذا كانت "اللغة" هي الصورةَ اللغويةَ المثاليةَ التي تفرض نفسها على جميع أفراد المجموعة الواحدة، فإن "تنوع اللغات" يرجع إلى تعقّد الروابط الاجتماعية؛ فلما كان من النادر أن يعيش فرد محصورا في مجموعة اجتماعية واحدة، كان من النادر أيضا أن تبقى إحدى اللغات دون أن تنفُذ إلى مجموعات مختلفة، إذ يحمل كل فرد معه لغة مجموعته ويؤثِّر بها على لغة المجموعة المجاورة التي يدخل فيها. وهذا مثال:

((لنتخيل أخوين يعيشان معا ولكنهما لا يمارسان مهنة واحدة. فكل منهما يحتك في مصنعه بمجموعات مختلفة ويأخذ عنهم اللغة بالضرورة مع عادات التفكير والأعمال وآلات المهنة. وبذلك ينشأ في كل يوم بين الأخوين اختلاف لغوي يؤدي بهما –إذا لم يريا أحدُهما الآخرَ زمنا طويلا– إلى التحقق من أنهما يتكلمان لغتين مختلفتين، ولكنّ هذا الاختلاف يزول كل مساء بفضل عودة الصلة بينهما من جديد. وعلى هذا النحو يجدان نفسيهما خاضعين لتيارين متعارضين يتبادلان التأثير عليهما ولا يفصِل أحدَهما عن الآخر إلاّ بضعُ ساعات، ويجدان أن اللغة التي يتفاهمان بها في حاجة دائمة إلى التطهير من عناصر التفرقة التي تفد عليهما من الخارج)).

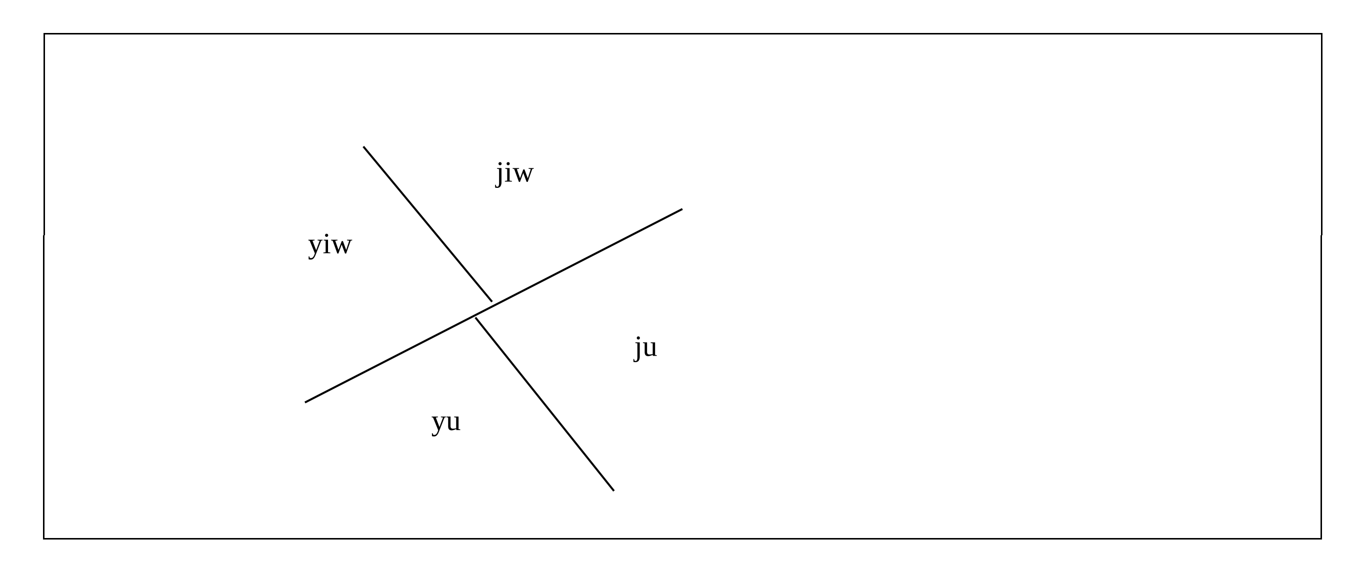
فالأخَوان في حالة افتراقهما يخضعان لعوامل التفريق اللغوي، وهما في حالة اجتماعهما يخضعان لعوامل التوحيد اللغوي. وبهذا النحو يفسَّر تطورُ اللغات جميعا في قانون يشتمل على قوتين متعاكستين في الاتجاه (أي في التأثير) توجّهان اللغة في طريقين متباينين؛ فإحدى القوتين توجّه اللغة نحو التفريق، فتطوِّر اللغةَ بانفصالات تزداد تعددا مع الزمن، وتكون النتيجة تفتّت اللغة تفتتا يزداد بازدياد استعمالها من المجموعات التي ينعزل بعضها عن بعض. أما القوة الثانية فتعمل على مناهضة التفريق حتى لا يصل إلى تمامه، ولولا ذلك لما أمكن تواصل الناس بعضهم ببعض، فتعمل هذه القوة على التوحيد الذي يعيد التوازن. ومن صراع هاتين القوتين تَنتج أنواع اللغات المختلفة من لهجات ولغات خاصة ولغات مشتركة.

انطلاقا من المخطط السابق (في ص16) هل يمكن استنتاج أنّ للهجات حدودا جغرافية ؟

يمكن من الجانب المكاني تحديد لغة ما بمُقابلتها بلغات من فصيلة (أو فصائل) مختلفة؛ فالعربية في العراق منتشرة إلى الحد الذي تبدأ فيه في الشمال الأعلى لغة الأكراد، كما أن العربية في سوريا منتشرة إلى الحدود التي تبدأ عندها في الشمال اللغة التركية. فإذا كان هذا التحديد الجغرافي للألسنة المختلفة ممكنا، فهل هو ممكن كذلك بالنسبة للهجات؟

من السهل مثلا أن نقول إن اللهجة العربية (العاميّة) المستعملة في "تبسّة" مختلفة عن اللهجة العربية المستعملة في "سوق اهراس"، وكل متكلم بإحدى هاتين اللهجتين يحس أن لسانه مختلف عن لسان الآخر، لكنّ الحقيقة أن الصعوبة كبيرة في ما إذا حاولنا رسم حدود لهجيّة على غرار الحدود اللغوية؛ والسبب في ذلك أن اللهجات تختلف فيما بينها ببعض الصفات الصوتية، أوبعض المفردات الشائعة، أوالتراكيب الخاصة، وليس من المتوقَّع دائما أن تتوافق الحدود التي تقف عندها خاصية لهجيّة معينة مع الحدود التي تقف عندها خاصية أخرى (صوتية كانت أو صرفية أو تركيبية)، وكل ما يمكن فعله هو رسم الحدود لخاصية لهجية معينة على خريطة ذلك الإقليم، فمن المقرر أن الخصائص اللهجية لا ينسجم بعضُها مع بعض من حيث التوزيع؛ أي إن الخطوط التي تفصل بين خاصية وأخرى، ليست هي نفس الخطوط التي تفصل بين خاصيات أخرى.

وفيما يأتي مثال واقعي يوضح أربع كيفيات لنطق الكلمة (joug) في مقاطعة واحدة، نتج عنها أربع مناطق غير متساوية تماما وموزعة على هذا النحو(المثال من: فندريس، اللغة، ص 311):



....

انتهى